الحــرب النفسيـــة في النظام الدولي الجديــد و اتجاهات التحصين في المنطقــة العربيـــة والإسلامية

د . سعد العبيـدي

(١)

يعيش الإنسان في عديد من الدول والمجتمعات البشرية في عصرنا الحالي أزمة وجود، أو محنة استقرار أساسها الصراع الدائر بين الأقوياء من جهة، وأقوياء آخرين من جهة أخرى، وبين الأقوياء أو بعضهم من جانب والضعفاء و بعضهم من جانب آخر، وكذلك بين الضعفاء وأمثالهم، صراع دائم يفضي إلى محن وأزمات مستمرة اختلف المختصون في علم النفس والاجتماع بشان طبيعتها وأسباب حدوثها وأبعادها البنائية وبدايات الحدوث، أو ما يسمى بالجذور التاريخية لها، ويعود هذا الخلاف إلى تعدد المناهج التي تتناول مثل هذه الأمور، وكذلك إلى التعقيد الموجود في النفس البشرية، وهي خلافات تعكس التناقض العميق لرؤى الأزمات والدلالات والمعاني ذات الصلة بالتعامل معها، أو التحرر منها ومضامين هذا التحرر.

(٢)

وبالعودة إلى منطقتنا العربية والإسلامية ومعطيات الصراع، نتلمس أن الأزمات التي نتجت عنه والتي ستنتج لاحقا، عزاها غالبية السياسيين والباحثين إلى الاقتحام الغربي لها – أي المنطقة – وما تبعه من سيطرة على مقدراتها بأشكال وآليات تتجدد بين الحين والآخر(١). ويدعم هذا الرأي الكفاح المستمر لشعوبها بهدف تحقيق الاستقلال، ومقاومة ذلك الاقتحام بكافة أشكاله الثقافية والحضارية والاقتصادية والسياسية، ويدعمه أيضا اندفاع شرائح واسعة من مواطنيها ورغبتهم بالتعليم وإقبالهم عليه لتسليح أنفسهم بوسائل المقاومة ومفردات الثقة بالنفس لتفادي أية آثار محتملة لذلك الاقتحام، واستعدادهم للجهاد طويلا ضد المستعمر أو المقتحم وطرده خارجها مهما بلغ الثمن كما حصل للعديد من الدول العربية والإسلامية عبر سني نضال أبنائها الطويلة حتى تحقق لهم ما أرادوا بجهودهم المتواصلة.

ومع هذا ينظر القلة إلى مجمل الموضوع نظرة مختلفة مردها إلى القدر الذي جاء بالمقتحمين في ظروف تفوقهم الحضاري، وهي النظرة التي لم تلق دعما علميا كافيا يساعد على ديمومة الاعتراف بها، في الوقت الذي أبقى فيه البعض الآخر الباب مفتوحا أمام المزيد من البحث والتقصي بغية الوصول إلى الأسباب والدوافع التي شجعت قسم من سكان هذا العالم على الغزو والاقتحام وجعلت القسم الآخر فريسة سهلة له، في زمن باتت وسائل تأثير هذا الغزو الفنية منها مثل العسكر، والإعلام مملوكة في معظمها للغزاة غير المنصفين، وبات فيه المعرّضون للغزو غير قادرين على منعها بالوسائل التقليدية، حتى ضاقت أمامهم فرص الدفاع إلا ما يتعلق منها بفاعلية الإيمان بالشرائع السماوية التي يتمسكون بها، والفكر المنطقي الذي يحملونه، ومعطيات التحصين لأنفسهم وتقليل فعل التأثير على حياتهم، وبمقدار العلم الذي يحصلون، لدرء خطر التأثير على قدراتهم خاصة بعد أن أصبح الغزو في عالم اليوم فكريا والمعركة نفسية سلاحها الإعلام وأدواتها كل وسائله المسموعة والمقروءة والمرئية(٢).

النظام العالمي الجديد

١) النظام العالمي الجديد اصطلاح في السياسة بدأ استخدامه بشكل واسع نهاية الثمانينات وبداية التسعينات من القرن العشرين المنصرم، وبالتحديد مع ظروف تفكّك الاتحاد السوفيتي، حيث اقترن بالعولمة ليعبر عن انتقال عمليات السلع ورؤوس الأموال وتقنيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات بين المجتمعات البشرية بحرية ودون قيود. لكنه ومن الناحية العملية يعبر عن اتجاه للهيمنة على مقدرات العالم من طرف واحد (أمريكا) أو ما يسمى بالقطب الواحد.

وهو بوجه العموم مصطلح ظهر على الصعيد الأكاديمي أول مرة بداية الستينات عندما استعمله المحامي الأمريكي المتقاعد كرنفينك كلارك، المستشار الفاعل لعدد من وزراء الخارجية في البيت الأبيض في الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي، لكنه ورغم الظهور المذكور لم يُدرج تعبيرا عاما في الفكر السياسي إلا بعد ثلاثين سنة على وجه التقريب، وكان أول من استخدمه بمعناه الحالي أواخر الثمانينات غورباتشوف ١٩٨٩، وبوش ١٩٩٠، والأمم المتحدة ١٩٩١(٣).

وباختصار يمكن القول أنه مصطلح لا يحمل في طياته أي جديد سوى محاولة الأمريكان لاستغلال انهيار الاتحاد السوفيتي في تعديل ميزان الصراع بينهم وبينه، وكذلك استثمار التخلخل الحاصل في الوضع الدولي آنذاك لإضافة المزيد من معايير القوة في كفة ميزانهم للصراع مع قوى أخرى ما بعد الاتحاد السوفيتي. هذا من وجهة النظر السياسية، أما من وجهة النظر النفسية السياسية فإنه (النظام العالمي الجديد) واقع لم يكن جديدا بتوجهاته وأهدافه، لأنه استمرار لذات الجهود في السيطرة وإدارة الصراع، والجديد فيه يتعلق فقط بالوسائل والأدوات التي اخترعتها أو استثمرت اختراعها أمريكيا لإيجاد قناعات خاصة وتحوير أخرى لصالح توجهاتها الستراتيجية في المجتمعات المستهدفة، وكان لها السبق في هذا المجال لعدة أسباب من بينها :

آ- التطور التقني الكبير للمجتمع الأمريكي في كافة المجالات، وخاصة في وسائل الاتصال ونقل المعلومات.

ب- الاقتصاد الأمريكي المتفوق من حيث القوة والقدرة على المنافسة مع اقتصاديات العالم الشرقي والغربي على حد سواء.

ج- قدرة الردع الأمريكية المتفوقة في مجال أسلحة التدمير الشامل وكذلك في بعض مجالات الأسلحة التقليدية.

٢) وتأسيسا على هذا التفوق سارعت أمريكا لاستخدامه كوسيلة ضغط على الحكومات، والشعوب الأخرى بعد أن بات أكثر من نصف العالم في قبضتها نتيجة لحاجة البعض إلى استثماراتها ومساعداتها لدعم اقتصاده، والبعض إلى تواجدها العسكري لتعزيز أمنه واستقراره، والبعض الآخر لمواقفها السياسية لتأكيد شرعيته، وآخرون إلى تقنياتها المتطورة لدعم تطوره واستمرار بقائه(٤).

٣) إن زيادة الحاجة للأقوى من قبل الأقل قوة وإمكانية فرضها واقع لمضاعفة فعل انتقال السلع والتقنية والمعلومات والثقافة والأفكار الذي سيؤدي حتما إلى أن تكون الحدود والسيادة الوطنية في كثير من المجتمعات غير الرصينة مجرد رموز للماضي، ويبدو معها فعل التأثير على المجتمع المستهدف خارج قدرة المجتمعات غير الحصينة للحيلولة دون حدوثه، ويبدو معها النظام القيمي والأنماط الثقافية والنظم السياسية عرضة لاحتمالات التغيير، الأمر الذي لا يبقي أمام المجتمعات العربية و الإسلامية المستهدفة وسيلة أمثل

للدفاع سوى التحصين النفسي(٥) ضد أدوات التأثير التي يمتلكها النظام العالمي الجديد، والتي تكاد أن تكون موجودة في كل بيت ومدرسة ومصنع مهما حاول المعنيون منع دخولها بأساليبهم المباشرة أو غير المباشرة.

الحرب النفسية

١- كانت الحرب بمفهومها العسكري التقليدي إحدى أهم الوسائل المتاحة لفض الصراعات القائمة وفرض الإرادات، حتى وقت قريب تدخلت فيه بعض المتغيرات التي أثرت على اتجاهات السياسة في الاعتماد المطلق على الحرب المباشرة، أو الصدام المسلح كعامل فاعل لتأمين غاياتها، ومن بين تلك المتغيرات :

آ) ظهور الأسلحة المتطورة لدى العديد من الدول أدخل العالم حقبة الاستراتيجيات الشاملة بشكل أصبحت فيه احتمالات الحرب التقليدية كوسيلة من وسائل إدارة الصراع قليلة الاحتمال إلا في حدود ضيقة، لأن الاستخدام العام لتلك الأسلحة لا يسمح بخروج منتصرين في حرب سيحل الدمار بجميع أطرافها.

ب) على الرغم من مقدرة الجيوش الحديثة وضخامة الأسلحة التي بحوزتها وقدرتها على التحشد والإسناد الإداري فإنها أصبحت شبه عاجزة لوحدها عن تحقيق الحسم العسكري بشكله الاعتيادي رغم تفوقها على خصم أصبح ونتيجة للتطور يتمتع بفرص جيدة للمناورة وإمكانات عالية في استجلاب الدعم والإسناد وحرية معقولة لتأمين الاتصال بمستويات زادت من فرص مقاومته.

ج) التطور الكبير الذي طرأ على وسائل الاتصال ونقل المعلومات جعل عالم اليوم صغيرا للحد الذي يستطيع فيه المرء أن يرى أحداثاً تقع في مختلف أنحائه لحظة وقوعها وهو جالس في بيته مما جعل هذه الوسائل ذات تأثير كبير على تشكيل الآراء والتوجهات والقناعات يمكن استثماره وبأقل ما يمكن من الخسائر.

٢- إن المعطيات أعلاه أثرت على رؤية القوى المتنفذة في العالم (أمريكا والغرب) على وجه الخصوص، ودفعتهما إلى التفكير بوسائل جديدة قادرة على إحداث فعل التأثير على تشكيل الآراء والقناعات المناسبة، وتكوين الاستجابات المطلوبة، تتوافق في واقع الحال ومساعيهما الحثيثة لتسيير واستغلال الشعوب الأخرى بطرق مقبولة لا تثير احتمالات المقاومة كما يحدث عادة في التعامل مع الأساليب القديمة المتمثلة بالحرب التقليدية، وبكلفة أقل بالمقارنة مع الكلف الباهظة للحروب التقليدية، وسعة تدمير أقل بالمقارنة مع تلك الحروب.

ولذا فقد بات التعامل على المستوى النفسي يحتل الحيز الأكبر بين الأسلحة المستخدمة في النظام الدولي الجديد للتأثير على وعي المستهدفين، أخذت فيه الحرب النفسية إطارا أكثر شمولية وأصبح فيه الإعلام أحد أدواتها المعروفة، وبات مفهومها الدقيق : استخدام المعطيات النفسية السرية والعلنية لإيجاد القناعات والآراء والاتجاهات التي تسهل تأمين المصالح وتعين على إدارة وتحليل الصراع.

لكن الحرب النفسية مفهوم لم ترتبط نشأته بتطور تقنيات الإعلام ولا بشيوع تطبيقات النظام الدولي الجديد بل ويعود إلى الحروب، عندما أدرك بعض القادة العسكريين أن جنودهم يقاتلون قتالا شرسا تارة، ويتبلدون حد الجبن تارة أخرى، وكذلك جنود العدو الذين يستبسلون في الدفاع عن مواضعهم تارة، وينسحبون متقهقرين تارة أخرى حتى عزوا ذلك التناقض الانفعالي إلى العامل النفسي وتوجهوا إلى المختصين لدراسته وتطوير وسائل تقويته عندهم، وإضعافه عند خصومهم، فكانت إجراءاتهم العملية في هذا المجال شملت العديد من الوسائل والأدوات وضعت تحت عنوان الحرب النفسية التي عُرِفَت ما بعد الحرب العالمية الثانية بالاستخدام المخطط من جانب الدولة في وقت الحرب أو في وقت الطوارئ لإجراءات عاتية بقصد التأثير على أراء وعواطف وسلوك جماعات أجنبية عدائية أو محايدة أو صديقة بطريقة تعبر عن تحقيق سياسة الدولة وأهدافها.

وعرفت بعد ذلك بقليل بأنها حملة شاملة تستعمل كل الأدوات المتوفرة وكل الأجهزة للتأثير في عقول جماعة محددة بهدف تدمير مواقف معينة، وإحلال مواقف أخرى تؤدي إلى سلوكية تتفق مع مصالح الطرف الذي يشن هذه الحملة (٦).

لكن تلك التعريفات قد تغيرت مع تطورات الأحداث والتقنية والنضج الفكري في مجالها لتكون الاستخدام المنظم لمعطيات علم النفس التطبيقية في تحليل وإدارة الصراع كما ورد في الفقرة (٢) أعلاه.

٣- إن التصور المذكور للحرب النفسية واعتمادها في تحليل وإدارة الصراع أعطاها أهمية بالغة ودفع العالم الغربي وأمريكا (القطب الواحد) في النظام الدولي الجديد على وجه الخصوص، إلى استخدامها سلاح كأحد أفضل الأسلحة المؤثرة لاعتبارات أهمها :

آ) إنه سلاح غير مباشر يعتمد على المعرفة النفسية وتطبيقاتها في التعامل مع الوعي الإنساني تلك المعرفة التي قطعت فيها تلك الدول أشواطاً بعيدة المدى وتمرست في استخداماتها بمستوى يحقق لها التفوق المطلوب في العديد من بقاع العالم.

ب) إن أمريكا في النظام العالمي الجديد امتلكت السلطات التشريعية والتنفيذية العالمية معاً وبموجبها حرمت على سبيل المثال التشويش على الإذاعات المرئية والمسموعة ومنعت الرقابة على المطبوعات والرقائق السينمائية وبقية وسائل الاتصال، وغيرها من ضوابط وقوانين مهدت لفتح الأبواب على مصاريعها أمام أسلحتهم النفسية دون أية مقاومة أو بقليل منها في أحسن الأحوال.

ج) إن الابتعاد جهد الإمكان عن التدخل المباشر باستخدام الجيوش التي ارتبطت حركتها بالاستعمار التقليدي المقيت أمر يحتاجه أولئك المعنيون في الوقت الحاضر لتجميل صورتهم التي تشوهت في اكثر من مكان على الكرة الأرضية، إلا أن هذا الاتجاه يعني تقييد لحركتهم وخسارة لمصالحهم الآنية والمستقبلية لا يمكن قبوله تماماً، وكتعويض لذلك فسح المجال واسعاً لاستخدام السلاح النفسي الذي يلبي الطموحات دون أية مشاكل جانبية.

د) أمريكا والدول المتنفذة الأخرى هي دول رأسمالية يدير معظم مفاصل القرار فيها أصحاب رؤوس الأموال وفق نظام يضع في الحسبان الكلف المادية ومؤشرات الربح والخسارة لكل الفعاليات وبينها العسكرية، وبمقارنة بسيطة بين ما تتطلبه الحرب التقليدية أو النووية من مصاريف ضخمة، وما تحتاجه الحرب النفسية من أموال وجهود معقولة نجد أن ميزان المفاضلة تميل كفته لصالح الأخيرة وبفارق كبير جداً.

هـ) يمتاز السلاح النفسي عن غيره من الأسلحة التقليدية كون إجراءاته متعددة ومتغيرة تتلون باستمرار تبعا للظروف، والمواقف، كذلك يتوجه إلى أهداف ليست معلنة واتجاهاته على وجه العموم غير مباشرة. وسلاح بهذه الخصائص يكتسب قوة التأثير غير المباشرة دون مقاومة المستهدفين أو ممانعة من قبل المجاورين في المنطقة.

و) إن اللجوء إلى استخدام الجيوش في الحروب عبر كل الأزمنة يتمحور حول فرض إرادة أحد أطراف الصراع بالقوة عندما تعجز الوسائل الأخرى عن فرضها. وهذه نتائج لا يدوم أمدها طويلا لأنها وبقدر قوة الصدمة وقسوة الشروط التي يفرضها المنتصر ستخلق مشاعر للعدوان ويتشكل سلوك للمقاومة عند مواطني الطرف المقابل يدفعهم إلى تكثيف جهودهم لإزالة تلك النتائج بأسرع ما يمكن. أما السلاح النفسي الذي لا يتوقف تأثيره عند حالة معينة يمتاز بالاستمرارية وبسهولة التكرار والمرونة في اختيار الوقت والوسيلة، والمناورة بالجهد المتيسر، وهي مبادئ توفر له فرصاً جيدة لإدامة زخم التأثير بدرجات أشد وفترات زمنية أطول.

ز) تمثل الحرب الاعتيادية مواجهة ساخنة بين أطراف الصراع يتلقى العسكريون فيها قوة الصدمة التي قد تمتد آثارها إلى المدنيين في العمق الاستراتيجي تبعا لشدتها واتساع رقعتها(شموليتها) وخلالها يحتفظ القادة المعنيون أحياناً بجهود تحمي المدنيين أو تقلل من تأثيراتها عليهم جهد الإمكان. بينما تختفي الحدود والفواصل في استخدامات السلاح النفسي(إلا إذا أريد له ذلك) وساحته على وجه العموم شاملة لكل المجتمع المستهدف. وبمعنى آخر إن تأثيراته السلبية لا تقتصر على جبهة القتال، والعبء الأكبر فيها لا يقع على العسكريين بمفردهم، وهو ما تسعى أطراف الصراع إلى تحقيقه في الوقت الحاضر.

ح) إن سياقات تطبيق الحرب النفسية في كثير من الأحيان تعتمد على التعامل مع ميول الإنسان وحاجاته ورغباته ومن ثم غرائزه بأساليب إشباع مرغوب، أو تجنب منفر، وهي معطيات تستهوي في معظمها المتلقين وتمهد الطريق أمام السلاح النفسي للوصول إلى الهدف المطلوب في الزمان والمكان المحددين.

٤- والحرب النفسية على وفق ما ورد أعلاه: عمل لا يتعلق إنجازه بالمؤسسة العسكرية فقط، لأن استخدام الجيش أو القوة العسكرية كان وما زال بيد الساسة بقصد فرض الإرادات وخلق القناعات " لصالح المنتصر " أو تحوير أخرى بالاتجاه الذي يريده المنتصر، وبالتالي أصبح الجيش وفعله أثناء الحرب وقبلها أو بعدها إحدى أدوات الحرب النفسية. وهو كذلك لا يقتصر فعله على الدبلوماسية فقط، في ممارسة الضغط والعزل وقطع العلاقات، ولا على الاقتصاد والتجارة وعمليات التجسس والاستخبارات فحسب، بل على كل جهد مدني أو عسكري الطابع، أو اقتصادي أو اجتماعي أو معلوماتي يمكن استثماره في تحليل وإدارة الصراع :

آ) فإن كان أحد الأطراف في أحد كفتي الصراع على سبيل المثال يمتلك القدرة العسكرية الجيدة فقد يستخدمها أو يلوح باستخدامها ضد خصمه لخلق قناعات أو قبول واقع جديد، والقناعة والقبول مسألة نفسية.

ب) وإن كان الاقتصاد هو الأقوى في جعبته فإنه سيلجأ إلى استخدامه على شكل عقود خاصة، ومنع تصدير وحصار وغيرها لتكوين تصورات وأفكار، والأفكار والتصورات مسألة نفسية.

ج) وإن امتلك وسائل الاتصال وتقنية المعلومات، فسيبادر إلى استخدامها للتأثير في تكوين الاتجاهات والميول والرغبات، وهذه هي الأخرى معالم نفسية.

٥- عليه أصبحت معظم الإجراءات التي يقوم بها الطرف المعني لإدارة صراعه مع الطرف المقابل ذات أبعاد نفسية ، ومن خلالها يمكننا القول : إن الحرب النفسية على وفق مفهومها الحالي في تحليل وإدارة الصراع، يحاول القائمون عليها استثمار معطياتها في أكثر من اتجاه، بينها :

آ) يلجأ من خلالها كل طرف من أطراف الصراع لأن يُثبت في عقل الطرف الآخر نقاط قوامها الأفكار، والمفاهيم، والتصورات التي تدفعه للقيام بفعل معين، أو تجنب القيام بآخر.

ب) وفيها يسعى كل طرف أن يهزم عدوه عمليا أو عقليا، وإن وجد نفسه غير قادر على ذلك يتحول بجهوده صوب التقليل من عدوانيته، أو تحييده.

ج) وفيها أيضا يسعى كل طرف إلى جعل المحايدين في دائرة صراعه أصدقاء له لتفادي نتائج تحولهم إلى الكفة الأخرى مستقبلا، وكذلك يسعى لزيادة أواصر العلاقة مع أصدقائه، لجلبهم إلى صفه دعما لكفته في الصراع مع الآخرين.

وهكذا تبقى الحرب النفسية عملية مستمرة دائمة، لا تقتصر على الحروب والأزمات، ولا على الأزمنة والأوقات، وبات هذا التصور الأكثر ملائمة لفهمها في وقتنا الراهن(٧).

٦- وعموما فإن الحرب النفسية عمل شامل يتم تحقيقه بأساليب متعددة متنوعة من بينها:

آ – المباشرة:

أولا: النشاط الدبلوماسي: اتفاقيات، أحلاف، تدخل في شؤون الآخرين، تكتلات، عزل.. الخ

ثانيا: العمل العسكري: الهجمات الشاملة، الضربات الاجهاضية، مناوشات حدودية، استعراضات عسكرية، قصف أهداف استراتيجية، احتلال مناطق حيوية، أو التهديد به . أي العمل العسكري.

ثالثا: الجهود الاقتصادية: حصار، مقاطعة، تضخم، إلغاء اتفاقيات، تزوير عملة، قروض، مساعدات، خطابات ضمان ... الخ.

ب- غير المباشرة (النفسية): السرية منها والعلنية، التي تشمل:

أولا: الأنشطة الإعلامية لأغراض التحوير الفكري والخرق القيمي وتغيير الميول والاتجاهات.

ثانيا: العمليات الاستخبارية للتسميم السياسي والتعزيز المعلوماتي، وإثارة المخاوف والفتن والاضطرابات.

ثالثا: استعراض القوة وشراء الذمم والتآمر والتجهيل والتخريب النفسي والقيمي، والتلاعب بالآمال والطموحات واستغلال المشاعر الإنسانية وغيرها.

٧- تأسيسا على ما ورد أعلاه يمكن استنتاج:

آ) إن معطيات الصراع وطبيعته التي كونت شكل النظم السياسية في عالم اليوم تؤكد أن محاولات الهيمنة وتأمين المصالح واحتمالات المواجهة حالة موجودة بين الحلفاء والأصدقاء مثلما هي واقعة بين الخصوم والأعداء، وفرقها الوحيد لا يتعلق بمديات وجودها واستمرار بقائها، بل بوسيلة التنفيذ وطريقة التوصيل ووقت الشروع التي عادة ما تكون محكومة بالظروف المحيطة ووسائل الضبط المتيسرة، وهذا استنتاج يتطلب أيضا ديمومة التعامل معه دون توقف، لذا نجد في عالمنا اليوم اندفاعاً لمعظم النظم باتجاه تقوية جيوشها وتمتين اقتصادها ودعم دبلوماسيتها وتطوير وسائلها النفسية وإعداد شعوبها للدفاع الكفء مادياً ومعنوياً من جانب وتهيئة فرص أفضل للهجوم وظروف أحسن لفعل التأثير في عقول المستهدفين عندما تقتضي المصالح وضرورات استمرار الوجود من جانب آخر.

ب) وعلى نفس الأسس الواردة لن يتبقى مجال للدول العربية والإسلامية على وجه الخصوص إلا السعي لتطوير قدراتها في تحليل وإدارة الصراع وزيادة هامش مرونتها في التعامل مع الدول ذات التأثير الأقوى في عقول المتلقين من مواطنيها.

ج) ومن حيث التطبيق نرى أن للحرب النفسية بمفهومها الحديث فعاليات شاملة وإجراءات متداخلة يكمل بعضها البعض. فأعمال السياسة الخارجية على سبيل المثال ذات الصلة بالعلاقات والخطب والمؤتمرات والرسائل والاتصالات والمذكرات تهدف في بعض جوانبها إلى تكوين قناعات تساعد في كسب ود الأصدقاء وتمتين عرى صداقتهم وجلب المحايدين إلى دائرة الصداقة ومن ثم التخفيف من عدوانية الخصوم ومحاولة تحييدهم، وهي معطيات نفسية قد يطلب المعنيون بالتعامل معها مساعدة الإعلام بكل وسائله وأدواته وأنشطته المعروفة لتجسيدها على أرض الواقع، وقد يستعينوا بالمقاطعة الاقتصادية والمساعدات المالية لنفس الغرض، كذلك تقتضي الضرورة اللجوء إلى العمل الاستخباري السري لتنفيذ بعض فقراته، وهذه التصورات تنطبق متغيراتها على معظم أهداف القوى السياسية الحالية في النظام العالمي الجديد الذي أصبح فيه استمرار تسجيل النقاط في وعي الآخرين أمراً أساسياً.

الإعلام والحرب النفسية في النظام العالمي الجديد

١- على ضوء مفهومنا للحرب النفسية المذكور في أعلاه يصبح الإعلام أحد أهم الأدوات الميسورة للحرب النفسية، حيث الاستخدام المنظم لوسائله ومواده للتأثير على قناعات الطرف المستهدف، دون تجاوز استخدامات القوة العسكرية والإمكانيات الاقتصادية والتحركات السياسية وغيرها، لكن الإعلام من ناحية أخرى يتميز عن كل تلك الأدوات كونه القاسم المشترك لها جميعا والناقل الأساس لأهدافها وتوجهاتها في التأثير على الطرف المستهدف لأنه :

آ) هو الذي ينقل أخبار العسكر وتفاصيل الحروب بصيغ تزيد المعنويات أو تضعفها.

ب) وهو الذي يقلل من قيمة انتصار عسكري حصل بالفعل، أو يزيد من وقع خسارة لم تكن كبيرة في الواقع بغية تكوين حالة إحباط مؤلمة.

ج) وهو الذي يهول أيضا من أثر الحصار الاقتصادي على بلد ما بهدف سحبه لتنفيذ أهداف محددة.

د) وهو الذي يضخم كذلك من القدرة الدبلوماسية لدولة معينة لإجبار الآخرين على السير مع توجهاتها المرسومة.

وإذا ما أضفنا إلى ذلك كله مهامه وطريقته في نقل الأفكار والأخبار والمعلومات، وحاجة الجمهور إليه في المتابعة والترويج وإشباع الحاجات، وكذلك قدرته وشموليته في التأثير، يكون الإعلام في هذه الحالة الأداة الأكثر فاعلية من بين أدوات ووسائل الحرب النفسية المتاحة في وقتنا الراهن خاصة مع تطور تقنيات التوصيل وسبل التأثير في نظام كوني شامل (النظام العالمي الجديد).

٢- وإذا ما عدنا إلى موضوع الإعلام كأحد أدوات الحرب النفسية في النظام العالمي الجديد تبيين لنا بعض الحقائق ذات الصلة به أن وجوده أو بالمعنى الأدق غالبية وجوده الفاعل بات بيد واحدة (القطب الواحد)، إذ إن:

آ) غالبية الشركات العملاقة (متعددة الجنسيات) للصحافة والبث التلفازي والأقمار الصناعية الناقلة للبث الفضائي موجودة في اليد الأمريكية التي أنشأت النظام العالمي الجديد.

ب) أساس عمل شبكة المعلومات (الانترنيت) أمريكي ورأس مالها أمريكي ومراكزها عبر العالم أمريكية، والقدرة على مراقبتها والتحكم بها في يد أمريكية تسعى لتعميم النظام العالمي الجديد.

ج) ٨٠ % من الأنباء العالمية التي تتداولها وكالات الأنباء في الدول النامية مصدرها الوكالات الأمريكية الغربية القادرة على الفبركة والصياغة حسب توجهات النظام العالمي الجديد .

د) خمس عشرة شركة إعلامية أمريكية غربية تتحكم في المواد والوسائل والمؤسسات والتقنيات الإعلامية، والإعلانية في العالم. وأن ٧٥ % من إجمالي الإنتاج العالمي من البرامج التلفزيونية أمريكي. و ٩٠ % من إجمالي الأخبار المصورة و٨٢ % من إنتاج المعدات الإعلانية والإليكترونية. و٩٠ % من المعلومات المخزنة في الحاسبات الإلكترونية جهد أمريكي.

هـ) رأس المال البالغ نحو (٤٨٩) مليار دولار الذي يتحكم في سوق التقنية الإعلامية غالبيته أمريكي، يسعى أصحابه إلى استثماره للامتداد إلى السوق العالمي بدفع من النظام العالمي الجديد(٨).

٣- إن العرض الموجز لمفردات الإعلام والحرب النفسية وعلاقتهما بالنظام العالمي الجديد يدفع إلى جملة استنتاجات أهمها:

آ) إن الدول النامية وبينها العربية والإسلامية ينبغي أن تعيد الكثير من حساباتها فيما يتعلق بالعلاقات وأساليب التعامل مع شعوبها، والغير وبما ينسجم ومعطيات النظام الدولي الجديد.

ب) إن تقنيات الاتصال التي تتطور بسرعة مطردة لا تسمح بالتوجه للتعامل معها على أساس المنع والتشويش كإجراءات وقائية. بل يتطلب الواقع التوجه بكل القدرات المتاحة لأعمال الوقاية، أو ما يسمى بالتحصين النفسي الذي يتأسس على :

أولا: المحافظة على النظام القيمي.

ثانيا: زيادة مستويات التحصيل العلمي والثقافة العامة لعموم المجتمع.

ثالثا: رفع مستوى المعنويات والروح الوطنية للمجتمع.

ج) إن النظام العالمي الجديد وبعد أن أمتلك زمام المبادرة لم يعد مهتما كما في السابق بالحروب العسكرية التقليدية " رغم عدم الاستغناء عنها نهائيا " لكلفتها العالية وكثرة الخسائر البشرية فيها، واستعاض عنها بالحرب النفسية، الأكثر تأثيرا، والأقل خسارة من الناحيتين المادية والبشرية، ووجد في الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة الأداة الأكثر فاعلية.

الدول العربية والإسلامية والنظام العالمي الجديد

١- يحمل التاريخ الحديث في ثناياه كثيراً من مؤشرات الاستغلال والتنافس تغيرت أشكال التعبير عنها وتنوعت مصادرها تبعاً للظروف المحيطة. فكان الأمر بعد الحرب العالمية الأولى استعماراً عسكرياً واقتصادياً وسياسياً مباشراً، تغيرت أنماطه بعد الحرب الثانية تبعاً لمجريات تلك الحروب، ومعطيات التطور الذي صاحبها، فكان استعماراً غير مباشر وتوزيعاً مبطناً لمناطق النفوذ دفع إلى تحالف غالبية الدول ذات المصالح وتكتلها في معسكرين ينحو الأول منحاً رأسمالياً، ويتجه الآخر اتجاهاً معاكساً نحو الاشتراكية انتهى سريعا مع بداية التسعينات تاركاً الساحة برمتها إلى المعسكر الأول متمثلا بالولايات المتحدة الأمريكية التي زادت من سرعتها لملء الفراغ، وكثفت من جهودها للتوسع في مناطق النفوذ بخطوات مدروسة سميت بالنظام العالمي الجديد لينسجم ومتغيرات هذا العصر والنظم السياسية والتطورات التقنية السائدة فيه.

٢- ورغم ما تحقق لأمريكا من كسب في هذا المجال إلا أن الصورة مازالت معتمة وبعض أجزائها لم تكتمل بالطريقة التي أرادتها طرفاً واحداً، لأن العالم بطبيعته وعبر تاريخه الطويل لم يكن حكراً لأحد، وهذا يعني أن الصراع بينها من جهة وأطراف أخرى لا تتفق وتوجهاتها من جهة أخرى يمكن أن يطفو على السطح في الوقت الحاضر، أو المستقبل القريب، ومن بين تلك الأطراف سيكون العرب والمسلمين الذين سيستهدفون من قبل المعنيين بهذا النظام لعدة أسباب بينها :

آ) إن العديد من المعطيات تشير إلى أن مقاومة النظام الدولي الجديد ستكون في الوطن العربي وبقية الدول الإسلامية التي تدرك أن التركيز بات على وجودها واستمرار بقائها، وهو إدراك يثير المعنيين بذلك النظام ويدفعهم إلى المقاتلة بكل الوسائل المتاحة للحيلولة دون حدوثه.

ب) إن التطورات وشكل الصراع وطبيعة التوازنات في المنطقة العربية والإسلامية محسوبة في الاتجاه المعاكس لرغبة الأبناء ومصالحهم، وهذه حسابات سوف تجعل المعنيين بالنظام الدولي الجديد يتوقفون عند خطوط حمراء محددة لا يسمح بتجاوزها، ومن يخوض غمارها بصدق سيكون هدفاً مباشراً لهم.

ج) تتبنى العديد من الدول العربية والإسلامية وغالبية شعوبها آراء ومواقف في القضية الفلسطينية – بؤرة الصراع الساخن في المنطقة – تتعارض مع الوجود الصهيوني، واتجاهات النظام العالمي الجديد في تجسيده على أرض الواقع، وهي آراء يحارب الصهاينة والمعنيين بذلك النظام صفا واحداً لإسكاتها.

٣- وإذا ما أضفنا مواقف الشعوب العربية والإسلامية إلى ما ورد أعلاه نستنتج أنها جميعاً مؤشرات لا تدع مجالا للشك في أن المعنيين بهذا النظام سوف لن يكونوا مكتوفي الأيدي أمام احتمالات الضرر الذي يمكن أن يصيبهم وحلفائهم انطلاقاً من الأرض العربية والإسلامية، وإذا ما قللنا من احتمالات استخدام الخيار العسكري الشامل للتعامل مع هذه الحقيقة في وقتنا الراهن على أقل تقدير لاعتبارات يتعلق بعضها بسيناريو احتلال العراق للكويت ونتائج حرب الخليج الثانية التي تركت نقاط عدة في عقول أهل المنطقة لا تود أمريكا خوض غماره (الخيار العسكري المباشر) قبل حصول النهاية ومحو الكثير من الآثار المترسبة لتلك النقاط في الذاكرة الشعبية العربية القريبة. ويتعلق بعضها بعدم رغبة معظم الأنظمة السياسية في المنطقة العربية والإسلامية في قبول قوات أجنبية هجومية على أراضيها قد تستفز شعوبها بمستويات يصعب السيطرة عليها. ويتعلق بعضها الآخر بظهور أصوات على مستوى الغرب القوي بالضد من سياسة التفرد في النظام الجديد، وظهورها يدفع إلى التريث في استخدام القوة العسكرية للتدخل المباشر في الوقت الحاضر على أقل تقدير. هذا وعندما لم يحبذ خيار الاستخدام المباشر للقوة في المنطقة العربية والإسلامية، أو عندما يعتقد أن استخدامه سيتسبب في آثار سلبية محتملة تفوق مقاديرها العوائد الإيجابية المحتملة، فلابد والحالة هذه أن

يفكر المعنيون بالنظام المذكور بوسائل وأسلحة أخرى لا تقل تأثيراتها المطلوبة عن الصدام المسلح إن لم تزد عليه، بينما السلاح النفسي الأكثر احتمالاً وملاءمة مع بدايات قرن جديد وفلسفة سياسية جديدة (النظام العالمي الجديد) سيكون فيه الاستعمار الفكري النفسي هو الصيغة السائدة، وبأقل التكاليف(٩).

الأهداف المتوقعة للحرب النفسية في المنطقة

١- من خلال استعراضنا لطبيعة الصراع الناجم عن النظام الدولي الجديد، وإلقاء الضوء على توجهات المعنيين به، ودور المجتمعات العربية والإسلامية في بعض جوانبه وكما ورد، فإن الأهداف (المحتملة) والتي يمكن أن تؤمن الغاية المتوخاة للمعنيين بهذا النظام ستكون على الأغلب :

آ) الوجود النفسي لقادة الأمة:

تمثل شخصية القائد في مجتمعاتنا التي يحكم فيها الفرد حكما مطلقا في كثير من الأحيان أهمية كبيرة للتأثير من خلاله على الجمهور في مجتمعه، وبذا ستضع القوى الفاعلة في النظام العالمي الجديد مسألة التعامل مع وجوده النفسي كرمز للقيادة والتقليد هدفاً رئيسياً من خلال التوجه إلى أفكاره وآرائه وأساليبه القيادية بالنقد والتحريف، وتشويه الحقائق لمن لا يكون مرغوبا من قبلهم، في محاولة للفصل بينه وبين جماهيره جهد الإمكان. وبالدعم والتورية والتعزيز لمن يمثل فلسفتهم في محاولة لزيادة أواصر العلاقة معه بقصد الإيهام والتسويف والاستسلام.

ب) طبيعة الفكر الإسلامي الحنيف:

بعد انتهاء الشيوعية كفلسفة لإدارة المجتمعات البشرية، أُعلن في الغرب وبأكثر من مناسبة أن الخطر الماثل للعيان لما بعد الشيوعية سيكون الإسلام الذي يحاول كثير من دعاته إثبات ملاءمته لكل شعوب العالم، وبذا سيكون الاتجاه المعاكس لهذه المحاولة خطوات لتشويه بعض تطبيقات الإسلام في مجريات الحياة من خلال التشجيع غير المباشر للتطرف والمغالاة، وتعميق الطائفية، ودعم التيارات القومية التي تعطي في مجملها صورة مشوهة للإسلام والمسلمين في آن معا.

ج) عزل المجتمع العربي عن الإسلامي:

المجتمعات العربية عمق استراتيجي للإسلام، والعكس صحيح أيضا إذ تشكل غالبية بلاد المسلمين عمقا للعرب، حيث تتقارب بينهم المشاعر والتطلعات والأهداف للعيش حياة أفضل قيميا، والتقائهم المفترض سيشكل قوة غير مرغوب فيها وفق النظام العالمي الجديد، وبذا ستتركز الجهود لتكوين أهداف مختلفة وتطلعات مختلفة لهم، ونقاط خلاف متعددة بينهم حتى تصل القناعات إلى مستوى التفرد بالرأي من أجل سلامة البقاء الذاتي.

د) إرباك أداء الإنسان العربي والإسلامي:

الإنسان أينما وجد فهو عماد النظام وأساس نجاح تجربته، وأداؤه المخلص الكفء معيار لتطور النظام وتقدمه، وإذا ما كان الأمر كذلك سيكون موضوع كفاءة العمل والرغبة بالإنجاز وجدية التعامل مع المهام والواجبات الوطنية للإنسان العربي المسلم اتجاهاً محسوباً للسلاح النفسي المعادي الذي سيتوجه إلى التشجيع غير المباشر للشعور بالنقص والاعتقاد بعدم الكفاءة وقلة الثقة بالنفس بين المواطنين لخلق فرص إحباط وخواء نفسي تبعدهم عن المساهمة في بناء الوطن الجديد وممارسة دورهم في الحكم، وتكوين المجتمع الصحيح.

هـ) تجهيل المجتمع العربي والإسلامي:

المتعلمون على وجه العموم أكثر قدرة لفهم مسئوليتهم الوطنية، وأكثر كفاءة لإدارة شؤون أنفسهم والآخرين، وأوسع مجالاً لإدراك غاية الآخرين وأهدافهم المبيتة بين السطور، وأحسن أداء في الدفاع عن وطنهم ومكتسباتهم وهذه معطيات أدخلتها الأطراف المقابلة في حساباتها منذ أول تعامل لهم مع العرب والمسلمين، ومازالوا على هذا النهج سائرين، وبذلك سيستمرون بالتركيز على أمور تبعدهم – المتعلمين – جهد الإمكان عن اهتماماتهم الوطنية وفق برامج تزيد من احتمالات الجهل بالقضايا الأساسية المهمة، ومحاولة إلهائهم جهد الإمكان بأخرى بعيدة نسبيا، كذلك ستحاول على وفق برامج أخرى زرع بعض

الأفكار والاهتمامات الغربية كبديل للأخرى الإسلامية، بالإضافة إلى التشجيع على هجرة العقول من المنطقة.

و) إثارة التوتر وعدم الاستقرار في المنطقة:

الضغط مفهوم يعبر عن الأحداث البيئية والنفسية التي يفسرها الفرد على أنها تهديداً أو تحديا لكيانه الشخصي، تؤدي الزيادة في مستوياتها مع الفشل في التعامل معها إلى إضعاف وظائف الإنسان وإرهاقه وكذا شعوره بالقلق والخوف وفقدان الثقة بالنفس، وهي حالة تستثير في محصلتها النهائية سلوكاً غير اعتيادي وأداءً بمستوى متدن في عموم المواقف الحياتية، وهذا ما سيلجأ إليه الطرف المقابل في محاولاته للضغط على مجتمع المنطقة سياسياً واقتصادياً عن طريق الإعلام والفضائيات وبرامجها الموجهة ذات الطابع التشويهي وبوسائل متعددة، وحجج مختلفة.

ز) استهداف العقل الفاعل للشباب:

الشباب غاية الأمة ووسيلتها وقوتها الضاربة في الدفاع عن إنجازاتها، فصحتهم البدنية والنفسية وسلامة تفكيرهم تعزيز لتلك القوة وهي الجوانب التي سيحاول الطرف الآخر تأمين الخرق المناسب في بعض أركانها لتحوير تكوينها بوسائل عدة بينها على سبيل المثال نشر تعاطي المخدرات التي تهيئ متعاطيها لتقبل الغزو الفكري السلبي بعيداً عن الإحساس بالمواطنة ومسئولياتها الجسام، ونشر الفساد بطرق منها بث البرامج ذات الطابع الاجتماعي الموجه بأسلوب يسئ إلى القيم الاجتماعية والدينية السائدة، وغيرها..

ح) دعم فاعلية التطرف الديني السياسي:

واجهت بعض مناطق العالم بشكل عام والوطن العربي والإسلامي على وجه الخصوص أحداث وتحديات ليست قليلة بدأت مع نهاية الستينات واستمرت حتى وقتنا الراهن فكونت إحساساً بفشل بعض الأيديولوجيات السائدة والنظم السياسية القائمة في حل مشاكل الإنسان وتلبية طموحاته، وهو فراغ نفسي دفع كثير من المتألمين إلى محاولة ملئه بالتوجه إلى الدين بشكل مغالى فيه طلباً للخلاص والحلول البديلة،

وكاستجابة لذلك قوي الدين السياسي عملاً وتنظيماً، بمستويات حاول الغرب استغلالها بدعم بعض أطرافه غير الرصينة دعما مباشرا بغية توجيه تطرفه على وفق حسابات تؤمن مصالحهم (الغرب) وقد حققوا نجاحاً ملموساً في أماكن عدة من المنطقة، وهذا أمر يشجع على الدفع باتجاه تركيز الدعاية والبرامج الثقافية والمعلوماتية والدينية الخاصة بقصد التشويه المنظم للحقائق، وبما يخدم الجانب المعاكس لمعطيات الدين الإسلامي.

ط) تدمير النظام القيمي:

تعيش العديد من المجتمعات وبينها العربية والإسلامية نوعاً معقولا من التجانس والاستقرار النسبي في ضوء نظمها القيمية وضوابطها الاجتماعية، فهناك على سبيل المثال الصدق والأمانة والإيثار والتكافل والشعور بالمواطنة وصيانة المال العام والإخلاص في العمل ... الخ من القيم والمعايير التي يؤدي خرقها إلى اضطراب المجتمع وضعف قدرته على الصمود والتحدي، وهذا هدف لا يغيب عن بال الأطراف الأخرى ومخططي الحرب النفسية من خلال البرامج الموجهة في هذا المجال .

ي) تعميم مشاعر الإحباط في المجتمع:

فشل الإنسان في إشباع حاجاته الضرورية – بيولوجية كانت أم نفسية – وتكرار ذلك الفشل يؤدي إلى الشعور بالإحباط وهي حالة نفسية تستثير العدوان الذي عادة ما يوجه داخل الإنسان حيث الرغبة في إيذاء الذات والعزلة والاكتئاب، أو نحو الخارج أي إلى الآخرين أشخاصاً كانوا أو مؤسسات ودوائر حكومية؛ حيث الميل إلى التخريب المادي المباشر مثل التجاوز على الممتلكات العامة وغيرها من أعمال متنوعة. والتخريب النفسي غير المباشر مثل عدم الإخلاص في العمل وتجنب تحمل المسئولية ووضع العراقيل أمام تقدم الآخرين. وغيرها من فعاليات تغري البعض لوضعها أهدافاً لحربهم النفسية الموجهة للمنطقة.

نظـرة عـامـة

١) الحرب النفسية وكما موضح في العرض أعلاه شاملة في أهدافها متداخلة في أساليبها ووسائلها، مركزية في التخطيط لتنفيذ خطواتها، وهذه المبادئ يمكن تطبيقها أيضاً على أساليب التعامل التي تنتهجها الأجهزة المعنية في المجتمعات المستهدفة. فالتخريب الفكري والقيمي الذي يمكن أن يضعه الطرف المقابل هدفاً لحربه النفسية على سبيل المثال يحتاج الرد عليه أو تجنب حدوثه عدة خطوات تبدأ أولاً بتحديد أشكاله ومن ثم قياس شدته واتجاهاته ووصف الأدوات والوسائل المستخدمة لتنفيذه، وهي جهود تعتمد بالدرجة الأولى على الرصد والتحليل والمتابعة بأسلوب البحث العلمي الذي يأخذ فيه علم النفس والاجتماع الحصة الأكبر بين علوم أخرى ذات صلة بالسلوك البشري وتعديلاته المقننة مثل الإعلام والتربية وغيرها. وهذا تصور يعين على تحديد حاجة المنطقة العربية والإسلامية أولاً إلى تنظيمات تخصصية فعالة، تأخذ على عاتقها واجب التحليل العلمي للصراع ورصد اتجاهات الحرب النفسية المعادية والعمل على مقاومتها.

٢) أن يركز القادة العرب والمسلمون جهدهم للمساعدة في دفع المجتمع العربي والإسلامي لأن يخطو إلى الأمام خطوات سريعة تنسجم والتطور الحضاري السائد في العالم وتسهم في تقليص الهوة الموجودة بينه من جهة والمجتمعات المتقدمة من جهة أخرى، سعيا لتكوين فهم مشترك مع تلك المجتمعات تساعد على تسهيل التعامل معها بعيدا عن التآمر والشك والخوف والتوجس

٣) أن تسعى الجهات والمراجع الدينية لتقديم الإسلام بروحه الأصيلة دينا للود والتسامح والتعاون، وتذليل الصعاب وسهولة التعامل مع الآخرين من خلال النشر والبرامج المعدة للفضائيات والأفلام السينمائية وغيرها من وسائل متعددة.

٤) تخصيص جهد أكبر في مجال نشر الوعي الديني خارج المنطقة العربية والإسلامية، أي في الدول الغربية وأمريكا، ومحاولة تكثيف الدعم والإسناد للمسلمين المهاجرين إلى تلك الدول ليكونوا أداة تعريف جيدة بمبادئ الدين الإسلامي من ناحية وصلة تفاهم مع الديانات الأخرى من ناحية ثانية.

٥) على البعض من المسلمين المقتدرين تغيير أساليب دعمهم المالي آخذين بنظر الاعتبار معالم العصر الحالي وذلك بتخصيص قدر من تبرعاتهم لنشر الوعي الإسلامي وتعميم الثقافة، ودعم التعليم الديني والعلمي، وفتح المدارس والمؤسسات العلمية ومراكز البحوث الإسلامية داخل المنطقة وفي بلاد الغرب.

٦) أن يخصص جهد أكثر في وسائل الإعلام والتربية المحلية لتعزيز القيم والمعايير والتقاليد العربية والإسلامية التي تساعد على تحصين الإنسان المسلم في المنطقة من تأثيرات المد الأجنبي غير الملائم.

٧) أن تتخلص الدول العربية والإسلامية وقادتها من موضوع التعامل على أساس الفعل ورد الفعل مع الأحداث والتوجهات المقابلة، وفي مجال الحرب النفسية الذي تتفوق به الدول الكبرى على سبيل المثال لا ينبغي التعامل على أساس المنع والتحريم المباشر الذي يصعب السيطرة عليه تقنيا، وبدلا عنه ينبغي التركيز على البناء النفسي القوي لأفراد المجتمع وتقوية فاعلية الضمير الإسلامي الكفيل بالتحريم الذاتي الأكثر ضمانا في الحماية من أنواع التحريم الأخرى الخارجية التي تأتي من قبل الدولة على وجه الخصوص.

٨) وختاما علينا التأكيد أن الحرب النفسية باتت سلاحا فعالا تلجأ إليه أو تمارسه العديد من الدول والنظم السياسية في وقتنا الراهن بغية التأثير على المجتمعات المستهدفة، صديقة كانت أم عدوة، باتجاه إيجاد تقبل للأفكار وتكوين قناعات تؤمن مصالحها. وهي – أي الحرب النفسية – استخدام مستمر للعديد من الفعاليات وفق معطيات علم النفس التطبيقية قطعت فيه بعض الدول الكبرى أشواطاً بعيدة المدى حتى عدّ البعض استخداماتها تمهيداً لسيادة نوع جديد من أنواع الاستعمار يستعبد الناس فكرياً ونفسياً، والحرب النفسية بهذا المستوى أصبحت تخصصاً علمياً دقيقاً وسلاحاً سرياً شاملاً لا نملك نحن العرب والمسلمين إلا القليل من مفرداته، التي لا يجازف الغرب بتزويدنا أو حتى بيعنا بأثمان باهظة شيئاً منها ونحن الموجودين على رأس قائمة أهدافه الحالية والمستقبلية، وعلى هذا الأساس لم يبق أمامنا سوى جهودنا الذاتية التي ينبغي أن نبدأ بها أولاً وكلما كأن ذلك ممكنا، حتى لا نجد أنفسنا يوماً وقد توقفنا آخر الركب ندفع ثمن عجزنا من أموالنا وأهدافنا وطموحاتنا دون أن نجد من يمد لنا يده أو حتى يدفعنا إلى الأمام. والبداية عملية لابد أن تتأسس على إمكانات معقولة توضع في تنظيمات مناسبة قادرة على رصد وتحليل اتجاهات الحرب النفسية

المقابلة، تأخذ في اعتبارها محاولة الاطلاع على جهود الغير وسبر غور البحث العلمي الذي يساعد كثيراً في التوصل إلى نهج عملي يقي المجتمع العربي والإسلامي من أية توجهات غير مناسبة.

الهـوامـش :

(١) السيد سعيد، محمد، مجلة العربي الكويتية، العدد ٤٩٤ يناير ٢٠٠٠ ص٧٣.

(٢) الشيخ، رأفت، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، دار التنمية للنشر والتوزيع.

(٣) العظم، صادق جلال (١٩٩٦) ما هي العولمة، ورقة بحث مقدمة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٦م.

(٤) حنوش، زكي : مستقبل حقوق الإنسان والشعوب في ظل النظام العالمي الجديد، الفكر العربي العدد ٩٠ خريف ١٩٩٧، ص٢٣١.

(٥) التحصين النفسي يعني إكساب الإنسان الفرد، والجماعة قدر ة على فهم وإدراك ما يحيط بهما من اتجاهات خارجية بمستوى يكونون فيه قادرين على مقاومة تأثيراتها المحتملة. ويعني من جانب آخر التغذية الفكرية للإنسان الفرد والجماعة بكم من المعرفة والإيمان اللازمين لإبعادهم عن التأثيرات المحتملة لنوايا الآخرين الموجهة.

(٦) محسن، محمد : دعاية المقاومة في مواجهة الدعاية الإسرائيلية، الفكر العربي العدد ٨٩ صيف ١٩٩٧ ص٢٢٢.

(٧) العبيدي، سعد (١٩٩٠) الحرب النفسية في الميدان، بحث غير منشور، ١٩٩٠م.

(٨) حسن زعرور : اتجاهات الشركات متعددة الجنسيات في ظل ثورة التكنولوجيا والإعلام، الفكر العربي العدد ٨٩، صيف ١٩٩٧، ص٢٠١.

(٩) أحمد رشتي، جيهان: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي (ب، ت).